أثر الصّوت العربيّ على اللِّسان الإسپاني
دراسة تاريخيّة حول علاقة العربيّة بالإسپانيّة.

The Influence of Arabic Phonetics on the Spanish Language –A Historical Study on The Relationship Between Arabic And Spanish.

أ. تسنيم نور الهدى دحماني‡

تاريخ الاستلام:01-05-2020 / تاريخ القبـول:15-10-2020

ملخّص: اللّغة مظهر اجتماعي معقّد، ترتبط بالإنسان أيّما ارتباط، ووجودها مرهون بوجوده واستمراره ولا معنى لهذه الظّاهرة المعقّدة في غياب الإنسان، كما أنّ الإنسان لا يمكنه أن يمارس نشاطه الحياتي في غياب اللّغة، لذا تلتقي اللّغة مع الكائن الإنساني في كثير من الخواصّ الحيويّة، فهي تقْوى وتضعُف ويصيب صيغها التّطوّر والتّبدّل كلّما مرّ عليها الزّمن، وهذا التّغيّر الذي يلحق اللّغة عبر مسارها الزّمني والمكاني قد يكون على مستوى الشّكل أو الدّلالة أو كلاهما على حدٍّ سواء، كما أنّ اللّغة تشترك مع الإنسان في جانب حيوي مهم يتمثّل في انتقالها من بيئتها اللّغويّة إلى بيئات لغويّة أخرى مجاورة لها أو نائيّة عنها، فتُؤثِّر وتتأثَّر جرّاء هذه المجاورة اللّغويّة، وهذا ما نلفيه في لغتنا العربيّة التي انتشرت على نطاق واسع من المعمورة بما فيه إسپانيا، فأثْرَت العربيّة اللّسانَ الإسباني بكثير من المفردات والمصطلحات في مختلف المجالات الحياتيّة والعلميّة.ومن المعلوم أنّه حين تنتقل الصّيغ اللّغويّة إلى بيئات مغايرة وتُستعمل على لسان ناطقين أجانب عنها يصيب هذه الصّيغ التّغيّر الذي يحدث في الغالب على مستوى الصّوت والمقطع والدّلالة، وهو ما حدث للصيغ العربيّة بعد انتقالها إلى الاستعمال الإسپاني وهو ما سنناقشه في مظنّة هذا المقال.

كلمات مفتاحيّة: اللّغة؛ التّغيّر ؛ الصّوت؛ المقطع؛ الدّلالة.

‡جامعة أحمد بن بلة 1 وهران، الجزائر، البريد الإلكتروني: dahmani_nour@yahoo.fr
(المؤلّف المرسل)

Abstract : Language is a complex social phenomenon. It is inherently related to humans, and its persistence depends fundamentally on their existence and survival. This complex phenomenon will lose its meaning in the absence of humans, and humans cannot perform any kind of practical activity without language. Therefore, language also reflects many of the organic features of the human being because it grows and weakens as a system, and its linguistic forms go through evolution and change over periods of time. This change influences language across its temporal and spatial trajectory, and it can occur at the level of syntax, semantics, or both. More importantly, language shares an essential aspect with humans, which consists of moving from its local environment over to other nearby regions and remote places. Thus, it influences other languages and gets influenced by them through this language contact. This is a process that we can find in our Arabic language which had spread widely across the world, reaching a country such as Spain. As a result, Arabic highly influenced Spanish with an abundance of words and expressions in a variety of practical and scientific areas. As commonly known, when some linguistic forms transfer to different places and get used by foreign speakers, they alter most of the time at the levels of sound, syllables, and semantics. Since this is precisely what happened to Arabic after moving to a Spanish use of language, this will be the core of our discussion in this paper.

Keywords: Language; Change; Sound; Syllable; Semantics.

المقدّمة: إنّ المتداول بين الباحثين والدّارسين من أهل اللّغة، أنّ اللّغة لا تختلف عن الكائن الحي، وبالأحرى الفرد أو الإنسان، في كثير من مظاهرها وخواصِّها الحيويّة فهي تنشأ وتنمو وتترعرع في وسط مُعيَّن، ويصيبها التّطوّر كما هي عرضة للتّراجع والضّعف، فقوتها

وهيمنتها مرهونة بقوة وهيمنة متكلِّميها، وتضعف إذا ضعفت الأمَّة النّاطقة بها، واللّغة لا تختلف كذلك عن الفرد في كونها تنتقل من بيئة إلى بيئات أخرى مجاورة لها أو نائيّة عنها وتؤثّر وتتأثَّر بما حولها. وتعدّ اللّغة العربيّة من اللّغات التي انتشرت على نطاق واسع وتجلى أثرها في كثير من اللّغات البشريّة كالتّأثير العربي على اللّغة الإسپانيّة.

– 1 **العربيّة نشأتها وموطنها** : تنتمي لغتنا العربيّة إلى فصيلة اللّغات السّامي ومن المعروف حين الحديث عن نشأة اللّغة العربيّة وبداياتها القديمة أنّها غير معروفة لدى الدّارسين وذلك (أنّ أقدم ما وصل من آثار العربيّة الباقيّة لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد). وأقدم عربيّة هي التي يسمِّيها الدّارسون العربيّة البائدة، وتسمّى أيضا عربيّة النّقوش لأنّ ما بقي منها هو بعض نقوشها فقط، وهي (تطلق على لهجات كان يتكلّم بها عشائر تسكن شمال الحجاز على مقربة من حدود الأراميين، وفي داخل هذه الحدود، ولشدّة احتكاكها باللّغات الأراميّة، وبُعْدها عن المراكز العربيّة الأصليّة فقدت كثيرا من مقوماتها وصبغت بالصّبغة الأراميّة) وقد ورد ذكر قبائلها في القرآن الكريم كعاد وثمود .

وأمّا العربيّة الباقيّة فهي اللّغة التي تكلّمها أهل نجد والحجاز والبلاد العربيّة بوجه عام، وهي اللّغة التي وصلنا بعض منها عن طريق الأدب الجاهلي وما دوِّن منه شعرا ونثرا، وقسّمها الدّارسون إلى عربيتين: العربيّة الجنوبيّة، ويقصد بها عربيّة من سكن ممالك جنوب الجزيرة العربيّة، وقد اندثرت شيئا فشيئا بتأثير عربيّة الشّمال عليها، إلى أن اختفت تماما مع مجيء الإسلام، ويُسمّى متكلّموها "بالعرب العاربة" كونهم عرب حقيقيون متّصلون نسبا بالعرب البائدة .

والعربيّة الشّماليّة ويطلق على أهلها "العرب المستعربة" (لأنّهم ليسوا بصرحاء في العروبة ولا خلَّصا، بل هم استعربوا بانتقال الصّفات العربيّة إليهم ممّن قبلهم) ويطلق عليها أيضا: الإسماعليّة، والعدنانيّة، والمعديّة، والمضريّة، والقيسيّة، ويعود تاريخ العربيّة الشّماليّة إلى (القرن التّاسع عشر قبل الميلاد، ومنازلهم شمالي بلاد اليمن في تهامة والحجاز ونجد وما

وراء ذلك شمالا، إلى مشارق الشّام وإلى العراق، وهم ينسبون إلى إسماعيل عليه السّلام) ومن بين القبائل العدنانيّة هذيل، وتميم، وقيس، وربيعة.

وموطن اللغة العربيّة عموما هو شبه الجزيرة العربيّة (وموقعها إلى طرف الجنوب الغربي من قارة آسيا، ويحدّها من الشّمال سوريّة، ومن الشّرق الفرات حتى مصبِّه في خليج العجم وجهة من بحر الهند، ومن الجنوب بحر الهند أيضا، ومن الغرب البحر الأحمر) والعربيّة اللّسان الذي تحدّث به أهل الجزيرة شمالا وجنوبا، وهي أداة تواصلهم ومعاملاتهم اليوميّة ووسيلة إبداعهم شعرا وخطابة .

وتجدر الإشارة أنّ أهم ما يميّز اللّغة العربيّة أنّها ظهرت وتجلّت للوجود مكتملة النّمو لا يعتريها ضعف ولا يشوبها نقصان، "ففي القرن السّادس بعد الميلاد يتراءى هناك عالم زاخر بالحياة وبالشّعر وبالرّقي الفكري، فبدون سابقة ولا تمهيد نلتقي فجأة بفترة المعلقات وغيرها من الشّعر ... شعر فطري في مضمونه، بينما من حيث الشّكل في غايّة الأناقة، ولغة منذ البدايّة تفوق في لطائفها أشد أنواع الكلام، إمعانا في الثّقافة وألوان من الحصافة في النّقد الأدبي، وفي البيان، تشبه ما تجده في أشد عصور الإنسانيّة إعمالا للفكر وظهور العربيّة على نحو كامل من حيث الشّكل والمعنى فيه إشارة إلى أنّ العربيّة قديمة جداً في النّشأة ترجع إلى عصور غابرة، وقد يكون وجودها مرتبطاً بوجود سيدنا آدم عليه السّلام، وقد تكون أوّل لغة تحدث بها سيدنا آدم.

2. انتشار اللغة العربيّة وأسبابه: وبمجيء الإسلام اشتد أزر اللّغة العربيّة وارتفعت مكانتها واتّسع موطنها ـ بعد ما كان محصورا في شبه الجزيرة العربيّة ـ إلى خارجها، (في القرن الأوّل هجري، السّابع ميلادي، انتشرت في الأمصار والأقطار التي فتحها المسلمون فلم تكد تمضي مائة عام على خروجها من موطنها، حتى امتدّت إلى أواسط آسيا، وحدود الصّين شرقا، وإسپانيا، وجنوب فرنسا غربا).

وفي هذا الشّأن يقول أحد اللّغويين الفرنسيين (رينان): (إنّ أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سرّه انتشار اللغة العربيّة، فقد كانت لغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة على غايّة الكمال، غنيّة أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعدّيل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأوّل أمرها تامّة مستحكمة) ومظنّة بحثنا تتمحور حول انتشار العربيّة بإسپانيا وعلى وجه الخصوص المنطقة الجنوبيّة منها التي كان يسميها المسلمون (الأندلس).

3.نبذة تاريخيّة عن بلاد الأندلس: أُطلقت تسمِّيّة الأندلس على جميع الأراضي والمدن جنوب شبه الجزيرة الإيبيريّة، وإنّ ما يميِّز تاريخ هذه الجزيرة هو احتلالها من قبل شعوب وحضارات مختلفة الأجناس، وكلّ ترك بصمته ودوره في هذه الجزيرة وفي حضارتها وثقافتها ولغتها.

وأوّل من سكن شبه الجزيرة الإيبيريّة هو شعب يعرف باسم الإيبيرين، وعرفوا بالفلاحة وبناء القرى والبلدان، وقطنها أيضا بعدهم الفينيقيون في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وأقاموا تجارة زاهرة، وأهم ما خلفوه هو بعض المدن التي أنشأوها مثل قادس وملقا. ومن الشّعوب القديمة التي سكنت إسپانيا الشّعوب السّلتيّة حوالي عام 900 ق.م، ودخلها الإغريق كذلك حوالي عام 600 ق.م، وخلال القرن الخامس قبل الميلاد غزتها القوات القرطاجيّة الواقعة في شمالي إفريقيا واحتلّت كثيرا من أراضيها، إلى أن جاءت الامبراطوريّة الرّومانيّة التي أخضعت شبه الجزيرة بكاملها تحت حكم واحد دام أكثر من أربعة قرون، وترك الرّومان حضارة عظيمة مازالتّ بعض معالمها ومظاهرها قائمة حاليا في إسپانيا؛ حيث أقاموا مدنا كبيرة وعبّدوا الطّرق، وأنشأوا قنوات سقي ضخمة واستعملوها في الزّراعة .

إنّ أهم مظهر حضاري وثقافي تركته الامبراطوريّة الرّومانيّة في تاريخ إسپانيا هو اللّغة والدّين، حيث أدخلوا اللّاتينيّة إلى البلاد وتعدّ الأصل الذي تفرّعت عنه اللّغة الإسپانيّة، كما أدخلوا النّصرانيّة التي أصبحت الدّيانة الرّسميّة في إسپانيا. وبعد الحكم الرّوماني يأتي الحكم

الجرماني، الذي أسقط الامبراطوريّة الرّومانيّة الغربيّة عام 476م واحتلّت قبيلة القوط الغربيون الجزيرة بكاملها عام 573م، واتّخذوا طليطلة عاصمة لهم ونشير إلى أنّ القوطيين كانت لغتهم ومذهبهم الدّيني يختلفان عن لغة ومذهب السّكان الأصليين في إسپانيا، حيث كانت لغتهم الجرمانيّة بينما كانت لغة السّكان الأصليين اللاتينيّة العاميّة، وأمّا المذهب فقد (كان القوط مسيحيين على المذهب الأريوسي، إلى أن أقنعت البابويّة الملك ريكاريدو بترك الأريوسيّة والتّحول إلى الكاثوليكيّة التي كانت ديانة معظم السّكان الأصليين، وكان هذا القرار حادثا حاسما في تاريخ إسپانيا لأنّه حقّق الوحدة الدّينيّة) ورغم توحد القوط والإسپان في الدّين واللّغة إلاّ أنّ هذا لم يخلق وحدة اجتماعيّة وثقافيّة. وقد استمرّ الحكم القوطي حتى أوّل القرن الثّامن الميلاد، مع مجيئ الفتح الإسلامي عام 93هـ، 711م، بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وجيش من العرب والبربر، سقطت فيه كلّ إسپانيا في أيدي المسلمين عدا جزء من المناطق الجبليّة الضّيّقة أقصى شمالي إسپانيا.

وقد دام الوجود العربي في إسپانيا حوالي ثمانيّة قرون، كانت مفعمة بحياة علميّة وعمليّة وحضارة زاهرة ترك فيها العرب آثارا ثقافيّة ولغويّة لا مثيل لها في تاريخ إسپانيا كما يرجع للعرب الفضل في نقل كثير من الحضارات اليونانيّة والاغريقيّة إلى أروپا وفتح لهم باب العلم في شتى المجالات الزّراعيّة، والصّناعيّة، والهندسيّة، والطّبيّة والأدبيّة، والفنيّة، ومازالتّ إلى هذا اليوم بعض المباني شاهدة على هندسة العرب الفريدة كالمسجد الجامع بقرطبة، وبعض القصور كقصر الحمراء بغرناطة.

4.المجتمع اللّغوي الأندلسي: من المعروف تاريخيّا أنّ المجتمع الأندلسي في تلك الحقبة كان متعدّد الأجناس والأعراق، في وسط يسوده التّعايش والتّواصل والتّبادل في شتى مجلات الحياة، بما فيه المجالين الحضاري واللّغوي، ومن الأجناس التي ضمتها بلاد الأندلس النّصارى وكانت لغتهم اللاتينيّة، واليهود ولغتهم العبريّة، والعرب الذين يتكلّمون العربيّة والبربر ولغتهم البربريّة إلى جانب تحدثهم باللّغة العربيّة حيث استعربوا بعد دخولهم في الإسلام.

وكانت العربيّة أكثر اللّغات شهرة ونفوذا في المجتمع الأندلسي "فقد كان المجتمع الأندلسي في واقعه مجتمعا متعدّد اللّغات، كانت اللّغة الرّسميّة في الإدارة، وفي مستوى التّحصيل العالمي هي العربيّة الفصحى وأمّا في المعاملات اليوميّة العاديّة فالعربيّة العاميّة كانت لغة التّخاطب، مع وجود أدوات تواصل أخرى كالبربريّة واللاتينيّة العاميّة، لكنّها لم تنفذ نفوذ العربيّة، أمّا اللّاتينيّة الفصحى فقد اقتصر وجودها على الكنيسة وحسب.

5 . أسباب انتشار العربيّة في المجتمع الأندلسي: عدّد الباحثون في هذا الشّأن كثيرا من الأسباب، وسأقتصر على ذكر سببين رئيسيين، كونهما عاملين فعّالين وهامّين في هذا الانتشار والنّفوذ.

السّبب الأوّل: يتمثّل في قدوم الإسلام ومنحه سكان الأندلس حريّة ممارسة عقائدهم فلم تعدّ اللّغة العربيّة لغة المسلمين وحسب وإنّما كانت لغة وملاذ المسيحيين واليهود "كان اليهود مثل المسيحيين تمتعوا منذ الفتح العربي بحريّة العقيدة، وبفضل هذا التّسامح تحسَّن وضعهم الاجتماعيّ والثّقافيّ، وتعرَّبوا مثل المسيحيين، وأصبحت اليهوديّة مدينة للثقافة العربيّة في الأندلس يقول المستشرق الفرنسي هنري بيريس: "بديهي أنّ المسلمين يتكلّمون العربيّة ويكتبون ويعبرون بها أدبا عمّا يخالج أنفسهم نظما ونثرا، أمّا ما يخصّ الأندلسيين غير المسلمين من المسيحيين واليهود فغريب استعمالهم للعربيّة ومن جهة أخرى فقد اعتنق كثير من النّصارى واليهود الإسلام وتعلّموا العربيّة من أجل الوصول إلى دراسته وتطبيق شرائعه. وبالتّالي يمكن القول أنّ أهم الأسباب التي جعلت اللّغة العربيّة تطغى على نفوس المجتمع الأندلسي، هو السّلام الذي منحه وجود المسلمين بأرض الأندلس، والتّعايش بين أفراد المجتمع في تلك الفترة رغم اختلاف أجناسهم وعقائدهم.

والسّبب الثّاني: هو الجانب الحضاري، فهو من بين أهم الأسباب التي أدّت إلى نفوذ وتغلغل العربيّة في أوساط المجتمع الأندلسي، فقد "كان التّراث العربي في عصر الإسلام الذّهبي من النّضج والازدهار بحيث احتلّ مكانة الصّدارة في العالم في الوقت الذي كانت أروبا في حالة

تخلُّف، وفي الوقت الذي أخذت فيه شمس الحضارة العلميّة العربيّة تميل إلى الغروب، وبدأ مداها العلمي في الانحسار، جعلت أروبا تفيق من سباتها الطّويل، فتتلقى إشراقة الحضارة العربيّة، لقد شعر الأروبيون بحاجتهم إلى الاغتراف من هذا المعين الجديد، والنّهم من هذا المنبع الصّافي فثراء العربيّة ومرونتها هيّأها "لتكون لغة عالميّة في العصور الوسطى تدرس بها العلوم في الجامعات الأروبيّة

وأصبحت العربيّة سواء الفصحى أم العاميّة لغة التّعامل الرّسمي ولغة التّعامل اليومي لدى أفراد المجتمع الأندلسي، ولم يقتصر استعمال العربيّة على فترة وجود المسلمين في أرض الأندلس وحسب، بل استمرّ استعمالها إلى ما بعد انتهاء الحكم الإسلامي، "وقد ظلّ المستعربون يستعملون اللّغة العربيّة حتى بعد خروج المسلمين من أرض إسپانيا، وهذا حتى في القرن الرّابع عشر الميلادي، وهذا واضح تماما من عدد المخطوطات اللاتينيّة ذات المضمون المسيحي في معظمها، والتّرجمات العربيّة في حواشيها، والأغلب أنّ المعجم العربي اللاتيني، واللاتيني العربي المعروف باسم معجم ليدن، إنّما تمّ تصنيفه لتمكين تلك الفئة من المجتمع؛ أي التي كانت العربيّة هي اللّغة الأدبيّة الأولى لديها، من تفهم طقوس الكنيسة الكاثوليكيّة وتواصل استعمال العربيّة إلى غايّة ذلك القرن بعد خروج المسلمين دليل على عمق هذا التّأثير اللّغوي ونفوذه.

6 . تاريخ اللّغة العربيّة في الأندلس: إنّ الحديث عن تاريخ اللّغة العربيّة في الأندلس هو حديث عن حقبة زمنيّة عريقة عرفها تاريخ اللّغة العربيّة، وعن دورها الذي منح للغة الإسپانيّة ميزة ساميّة جماليّة ميّزتها عن باقي اللّغات اللّاتينيّة الأروبيّة .وبدأ تاريخ العربيّة في إسپانيا مع أواخر القرن الأوّل للهجرة (فترة الفتح الإسلامي) ومع بدايات القرن الثّاني أصبحت العربيّة لغة منتشرة في جميع مدن الأندلس، وترسّخت وقويت إذ صارت اللّغة الرّسميّة في البلاد، واهتمّ المختَّصون بتعليمها وتدريسها للمهتمّين والنّاشئة، من خلال جهود العلماء الذين كانوا ينتقلون إلى المشرق وحتى القيروان لكسب العلم ثمّ نشره بين أبناء بلادهم

وبفضلهم وفضل ما جلبوه من كتب وفضل حكام البلاط ـ كعبد الرّحمن النّاصر وابنه الحكم المستنصر ـ بقيت العربيّة الفصحى ثابتة في وجه العجميّة والعاميّة ، وهما من اللّغات التي كانت سائدة في الأندلس في العصر الوسيط.

7.الوضع اللّغوي في الأندلس: إنّ اختلاف الأجناس خلق لغات متعدّدة داخل المجتمع الأندلسي، تتفاوت في أهمّيتها وانتشارها وأوّل لغة نتحدّث عنها هي لغة السّكان الأصليين وهي الرّمانسيّة أو اللاتينيّة العاميّة، وهي اللّغة التي خلّفها الوجود الرّوماني في البلاد واللاتينيّة العاميّة هي اللّغة التي كان يتحدّث بها السّكان الأصليون من النّصارى والمسالمة والمولّدين (وانضاف إليهم عدد من البربر والعرب ولكنّها لم تبق على نقائها الأوّل بعد الاختلاط بالعناصر المهاجرة، خاصّة وأنّ العرب من هؤلاء دخلوا البلاد دون زوجاتهم واتّخذوا نساءهم من أهل البلاد) لذا كانت كثير من القبائل العربيّة تعرف هذه اللّغة وتفهمها بوصفها لغة تخاطب يومي ، وبعد الفتح العربي كانت اللّغة العربيّة أهم أداة تواصل في المجتمع الأندلسي وفي بدايّة الأمر كانت العربيّة أداة التّواصل بين العرب الذين استقرّوا بالأندلس بعد الفتح وبتأثير الوجود العربي السّياسي والدّيني على قلوب غالبيّة السّكان في الأندلس، استعرب كلّ من النّصارى والمسالمة والمولّدون واليهود وسرعان ما أصبحت العربيّة أداة التّواصل والتّفاهم بين جميع السّكان على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم، وإنّ سرعة انتشار العربيّة وتوسّعها بين السّكان الأصليين كان لدواع أهمّها تسهيل حياتهم ومعاملاتهم اليوميّة، وفهم تعاليم الدّين الإسلامي لمن اعتنقه.

كما وُجدت في المجتمع الأندلسي اللّغة البربريّة التي كان يتواصل بها البربر فيما بينهم وأمّا اليهود فلغتهم العبريّة اقتصرت فقط على الطّقوس الدّينيّة، واتّخذوا العربيّة لغتهم في التّواصل وفي التّأليف. بالإضافة إلى وجود العاميّة الأندلسيّة وهي لغة عربيّة عاميّة (تهمل الإعراب وتحرف النّطق الصّحيح للأصوات والأبنيّة الصّرفيّة، ويتخلّلها بعض الألفاظ الأجنبيّة الآتيّة

من لغة الإقليم المفتوح) وكانت العاميّة الأندلسيّة متداولة بين مختلف فئات المجتمع من مسلمين، ومسالمة، ومولّدين، ويهود، ومستعربين.

8.نبذة تاريخيّة عن نشأة اللّغة الإسبانيّة: تعدّ اللّغة الاسبانيّة اللّغة الرّسميّة في إسبانيا ودول أمريكا اللاتينيّة (أمريكا الجنوبيّة) ، ويطلق على اللّغة الإسبانيّة اللّغة القشتاليّة el) castillano)والقشتاليّة هي اللّغة الرّسميّة التي تُستعمل في جميع التّراب الوطني بالإضافة إلى وجود لغات ثانويّة أخرى تستعمل في بعض مناطق إسبانيا وهي: "**الباسكيّة** "**el vasco**" التي يتحدّث بها في منطقتي الباسكو ونافارا (Vasco– navarra) والكاتالونيّة el" catalan"التي يُتحدَّث بها في منطقتي كتالونيا وفالنّثيا وجزر البليار –Cataluña valenciaIslasBaleares)والجالسّيّة "el gallego التي يُتحدّث بها في جاليسيا.

لقد تفرّعت الإسبانيّة ـ كما سلف الذّكر ـ عن اللاتينيّة جرّاء الاحتلال الرّوماني للجزيرة الإيبيريّة، (وقد بدأت اللّغة الاسبانيّة القشتاليّة في الظّهور لغة مستقلة عن اللاتينيّة في الفترة الممتدة من عام 950 إلى عام 1000م، وخلال القرن الثّالثّ عشر الميلادي أصبحت مقاطعة قشتالة الإسبانيّة مركزا سياسيا وعسكريا وأدبيا مهما، وامتدّ تأثيرها إلى غيرها من المناطق، وأصبحت القشتاليّة الشّكل المقبول للإسبانيّة في معظم أجزاء شبه الجزيرة الإيبيريّة

كما امتدّ استعمال اللّغة الإسبانيّة إلى دول أمريكا اللاتينيّة بسبب المستعمرين والغزوات والبعثات التّنصيريّة الإسبانيّة في الاستقرار هناك في القرن السّادس عشر الميلادي، وحلّت اللّغة الإسبانيّة تدريجيا محل كثير من اللّغات الهنديّة التي كانت تستخدم في أمريكا اللاتينيّة كما كان لدخول العرب أرض إسبانيا تأثيرا كبيرا على الجانب اللّغوي آنذاك .

9- أثر الفتح العربي على اللّسان الإسباني: لقد كان للفتح الإسلامي لإسبانيا عام 711م الذي شمل جميع أراضيها عدا جزء قليل منها وهو أقصى الشّمال، أثر كبير على اللّغة

الإسپانيّة، وذلك بسبب تأثر الإسپان بقوة وحضارة العرب آنذاك وبالتّالي الإعجاب بلغتهم ودراستها وتداولها على الالسّن.

فدخلت اللّغة الإسپانيّة كثير من الكلمات العربيّة، واشتق من الصّيغ العربيّة الأصليّة استعمالات أخرى كالأفعال وأسماء أفعال وصفات ومصادر وغيرها، ممّا أسهم في إثراء القاموس الإسپاني، في مثل الصّيغ

– Alquilerوتعني الكراء، واشتق منها الفعلalquilar.

–القطران (alquitran) :أُشتق منها الفعل قطّرAlquitarar ، قطرنَةalquitranado مرشة قطرانalquitranadora

– الكيمياءalquimia : ، خاص بالكيميalquimico

– الزّيت Aceite التّزييتaceitado ، زيَّتaceitar :، راسب الزّيتaceitaczo : بائع الزّيت aceitero. aceitería :متجر الزّيت

–عدول (صيغة مبالغة) adul :ومن الصّيغ التي أُشتقَّت منها مع تغيير في وظيفتها الدّلاليّة: تملَّق، داهن adular:، ملاّق، مُداهن، متزلِّف adulador:، تملُّق مداهنة adulación، تزوير، تزييف adulteración:؛

–الخرشوalcachufa) ؛

– Berenjenas(البدنجان)، وأُشتق منها الصّفة berenjenado : والاسم berenjenía, berenjenal؛

– El azafrάn(الزّعفران)، واشتق من الصّيغة العربيّة الصّفة azafranado والأسماء azafranal, azafranero :والصّيغة الفعليّةazafranar؛

– Adelfas(الدّفلى)

- Acebuche(الزّبوج) وقد اشتق من الصّيغة العربيّة الصّيغ التّاليّة: acebuchal acebuchina.،acebucheno

ونوضِّح قضيّة التّأثير الصّوتي العربي على اللّغة الإسبانيّة في الجدول الآتي:

أمثلة توضيحيّة:

الصّيغة العربيّة	الصّيغة في اللّغة الإسبانيّة	المقطع المتغير	الكتابة الصّوتيّة
علفة	Alafa	/ع//a/←	[a‘]
العافيّة	alafía/عا/á/←		[ᾱ‘]
العَشور	alajor/شور/jor/←		[xor]
القيصريّة	alcaicería	/ص/ce/←	[θƐ]
القاضي	alcalde	/قا/ca/←	[ka]
الحجّام	alfajeme	/ح/fa/←	[fa]
الرّبع	arroba	/ع/b‘ /←	[‘b]
قبيلة	cabila	/قca//←	[ka]
هجرة	hégira	/هhé//←	/
عبّادي	Abadí	/ع/a/ /←	[a‘]
ابن السّراج	Abencerraje	/جje//←	[xƐ]
الزّبيب	acebibe	/زce/ /←	[θƐ]
الزّبوج	acebuche	/زce/ /←	[θƐ]
الزّيار	aciar	/زci/ /←	[θi]

الحرة aforra /ح/fo/←/ [fo]

الجلجلان ajonjoli /ج/jo/←/ [xo]

العطار alatar /ع/'a /←/ ['a]

المحراب mihrab /ح/-/←/ /

الكرز alcaraz /ز/z/←/ [θ]

القطام alcotán /ق/co/←/ [ko]

الحاجة alfaja/حا/fa/←/ [fa]

الحجام alfajeme /ح/fa/←/ [fa]

الحكيم alfaquín /ح/fa/←/ [fa]

الجزيرة algeciras /ز/ci/←/ [θi]

الحمّال alhamel /ح/ala/←/ [ala]

الحنظل alhandal /ح/ala/←/ [ala]

الإزار alizar/زا/za/ /←/ [θa]

الصّفر cero /ص/ce/←/[θɛ]

حتى fata /ح/fa/ /←/ [fa]

حزين hacino /ح/a/ /←/ [a]

عنبر mbará /ع/a/ /←/ [a]

التّرصيعة ataracea /ص/ce/←/[θɛ]

الصّبّارة azabara /ص/za/←/[θa]

الصّندل azandar /ص/za/←/ [θa]

الزّفيزف azufaifa /ص/zu/←/ [θu]

بلاط balate /ط/te/←/ [t]

العود laúd /عو/ú/←/ [ú]

قالب cálibo /قا/cá/←/ [ká]

قليل calilo /ق/ca/←/ [ka]

قنديل candil /ق/ca/←/ [ka]

قرابة carabo /ق/ca/←/ [ka]

القرطاس alcartaz /طا/ta/←/ [ta]

ياسمين jazmin /يا/ja//←/ [xa]

الجُعبة aljaba /ج/ja/←/ [xa]

الجَفنة aljébana /ج/jé/←/ [xé]

الشّوار ajuar /ش/ju/←/ [xu]

الشّب jebe /ش/je/←/ [xe]

شريط jareta /ش/ja/←/ [xa]

شريف jarifo /ش/ja/←/ [xa]

هجرة hégira /هـ/hé/←/ [é]

تحليل وتعقيب: من خلال قراءة وتحليل الأمثلة السّابقة تحليلا صوتيا يمكننا أن نستخلص بعض الظّواهر الصّوتيّة، والمتمثِّلة في الآتي :

أوّلا: حذف الأصوات الحلقيّة (العين، الحاء، الهاء): من خلال استقراء الصّيغ العربيّة الموجودة في القاموس الإسپاني، والمشتملة في تشكيلتها الصّوتيّة على صوت حلقي نلفي أنّ النّاطق الإسپاني يقوم دائما بالتّخلّص من هذا الصّوت طلبا لسهولة الأداء وذلك أنّ جهازه الصّوتي ليس متعوّدا على أداء الأصوات الحلقيّة حيث أنّ أبعد مخرج في العربيّة هو الحنجرة لصوتي (الهمزة والهاء) ثم يليه الحلق لأصوات (العين والحاء، والخاء، والغين) وأبعد مخرج في الإسپانيّة هو من أقصى اللّسان وما يقابله من الحنك اللّين للصّوت .(j) وهذه الظّاهرة الصّوتيّة (الحذف) نجدها في كثير من الصّيغ في نحو حذف صوت العين وبقاء الصّائت المُحرِّك له، مثل الصّيغ: علف (alafa) العافيّة (alafia)، الرّبع (arroba)، عبّادي (abadí)، العطار (alatar)عنبر (ambar)العود، (alud)وحذف صوت الحاء كما في الصّيغ: حمّال(alhamel)، الحنظل (alhandal)، حزين (hacino) وحذف صوت الهاء في مثل: الهجرة(hégira) ، المحراب. mihrab

ثانيا: انتقال صامت (الجيم) إلى صوت (الخاء) [x] /j/ أو صوت (الشّين) :/ch/[š] في مثل الصّيغ: ابن السّرا(Abeencerraj) ، الزّنبوج (acebuche) الجلجلان(ajonjoli) الجزيرة(algecira)، الجعبة(aljaba)، الجبة (aljuba)جرة. (jarra)

ثالثّا: انتقال صامت (الشّين) إلى صوت (الخاء) :/j/ مثل الصّيغ: الشّوار (ajuar) شراب (jarabe)، شب (jebe)، شريط (jareta)، شريف. (jarifo)

رابعا: انتقال الصّامت العربي المقلقل (القاف) إلى الصّامت اللهوي /k/ في مثل الصّيغ: قالب (cálibo)، قليل (calilo)، قنديل (candil)، قرابة (caraba)القاضي).(alcalde)

خامسا: انتقال صامت (الحاء) إلى الفاء /f/ في نحو: الحاجة (alfaja) الحجام (alfajeme)الحكيم (alfaquín)، حتى (fata).

سادسا: انتقال صامت (الزّاي) إلى صوت (الثّاء) /z/ مثل الصّيغ: الزّبيب (acebibe) الكرز (alcaraz)، الجزيرة (algecira)، الزّفيزف (azufaifa)الزّيار (aciar) الازار alizarومن خلال هذه الصّيغ نلاحظ أنّ صامت (الزّاي) وهو صامت أسناني ينتج من خلال مقاربة طرف اللسان خلف الثّنايا العليا، انتقل في الأداء الإسباني إلى صامت (الثّاء) وهو صامت بين أسناني؛ ويعود سبب هذا التّغير الصّوتي أنّ اللغة الإسبانيّة لا تشتمل في أبجديتها على صوت (الزّاي) لذا حوّله النّاطق إلى صوت قريب منه في المخرج وهو صامت (الثّاء).

سابعا: انتقال صامت (الياء) إلى (خاء) في مثل صيغة، ياسمين(jazmín)

ثامنا: ظاهرة التّرقيق: انتقلت الصّيغ المشتملة في تشكيلها الصّوتي على صوامت مفخمة مثل (الطّاء) و(الصّاد) إلى أصوات مرققة في الأداء الإسباني، مثل الصّيغ العطّار (alatar) القطارة (alquitara)، القطام (alcotan)، التّرصيعة (ataracea)الصّبارة (azabara) الصّندل (azandar)بلاط (balate)صفر (cero)القرطاس (alcartaz) القيصريّة. (alcaicería)

ونفسر سبب انتقال الصّوامت المفخمة في العربيّة إلى أداء مرقق في الإسبانيّة؛ أنّ نطق الأصوات المفخمة يتطلّب تقعر اللّسان داخل التّجويف الفموي لتنشأ ظاهرة التّفخيم وهذه الهيئة النّطقيّة لا تشتمل عليها اللغة الإسبانيّة .

الخاتمة: ويمكن أن نختم هذا البحث بقولنا أنّ الامبراطوريّة الرّومانيّة كان لها الفضل في نشوء اللّغة الإسبانيّة، وكان للامبراطوريّة العربيّة دور كبير في إثراء اللّغة الإسبانيّة من حيث الصّيغ، ومختلف التّعابير، وبعض الميزات اللّغويّة كميزتي التّصغير مثلpoquito, bajito

والنّسبة بإضافة الياء في العربيّة، التي يمثّلها صوت (ا) في الإسپانيّة في مثل صيغة (marroquí)التي تعني (مغربي) نسبة إلى بلاد المغرب الأقصى) bengalí بنغالي.

بالإضافة إلى تأثيرات مورفولوجيّة مثل إضافة المورفيم (أ) التي وظيفتها التعدّيّة في الأفعال حيث ينتقل الفعل من الثّلاثي إلى الرّباعي (la cuarta)، في نحو: حزن (estar triste) أحزن (entristecer, afligir). كرُم (ser noble) أكرم (honrar a otro). مات (morir) أمات (matar) (قلّل) aminorar. (سخّن) acalorar agravar (شدّد). avivar (أجّج).

الهوامش:

1- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط 5، 2007 ص79.

2 - علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص 79.

3 - مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1 1421 هـ - 2000، ج1 ص 37 وما بعدها.

4 - مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب، ص 39 وما بعدها.

5- مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب، ص 39.

6 - عبد الرّحمن أحمد البوريني، العربيّة أصل اللغات كلّها، دار الحسن للنشر والتّوزيع عمان الأردن ط1، 1419 - 1998، ص50.

7 - كريم زكي حسام الدّين، العربيّة تطوّر وتاريخ، دراسة تاريخيّة لنشأة العربيّة والخط وانتشارهما ص08

8 - عبد الرّحمن أحمد البوريني، العربيّة أصل اللغات كلّها، ص52.

9 - ينظر، الموسوعة العربيّة العالميّة، الجهة القائمة بإقامة المشروع وتنفيذه: أحمد مهدي محمد الشّويخات، صلاح الدّين الزّين الطّيب، سعد بن عبد الرّحمن البازعي، ص 634 وما بعدها.

10 - أبو نصر الفتح بن خاقان، تقديم وتحقيق وتعليق مديحة الشّرقاوي، كتاب تاريخ الوزراء والكتّاب والشّعراء في الأندلس، النّاشر مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط1، 1422-2001، ص 12.

11 - الموسوعة العربيّة العالميّة، الجهة القائمة بإقامة المشروع وتنفيذه: أحمد مهدي محمد الشّويخات صلاح الدّين الزّين الطّيب، سعد بن عبد الرّحمن البازعي، ص 635.

12 – إبراهيم السّمرائي، العربيّة تاريخ وتطوّر، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1413 1993 ص 437.

13– إبراهيم السّمرائي، العربيّة تاريخ وتطوّر، ص443.

14 – إبراهيم السّمرائي، العربيّة تاريخ وتطوّر، ص446.

15 – حكمت عبد الكريم فرحات، إبراهيم ياسين الخطيب، مدخل إلى تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة دار الشّروق للنشر والتّوزيع، ط1، 1999، ص159.

16 – كريم زكي حسام الدّين، العربيّة تطوّر وتاريخ، دراسة تاريخيّة لنشأة العربيّة والخط وانتشارهما ص10.

17 – سلمى الخضراء الجيوسي، كتاب الحضارة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس، التّاريخ السّياسين الأقليات، المدن الأندلسيّة، اللّغة والشّعر والأدب، الموسيقى، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت لبنان ط1، ج2، ص 1442، 1443.

18 – ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغويّة في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهايّة عصر ملوك الطّوائف ص 42.

19 – ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغويّة في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهايّة عصر ملوك الطّوائف ص 42.

20 – إبراهيم السّمرائي، العربيّة تاريخ وتطوّر، ص 447 بتصرّف.

21 – إبراهيم السّمرائي، العربيّة تاريخ وتطوّر، ص 447 بتصرّف.

22 – الموسوعة العربيّة العالميّة، ص645.

23– Real academia de lengua española

24– historia de la lengua española, Rarael Lapesa, Prologo de Ramon Menendez Pidal, novena edición corregida y aumentada, biblioteca romanica hispanca, editorial gredos, Madrid, 1985.p 148.